المحاضرة الثالثةوالرابعة والخامسة : النماذج التنموية من منظور نظري – النموذج التكاملي- نموذج الحظارة-نموذج اقتصاد السوق- النموذج الاشتراكي- نموذج التنمية المستدامة

لقد كان لبعض المجهودات البحثية بالمجتمعات النامية دور أساسي في الوصول إلى تبيين وتفسير الحقيقة العلمية التنموية، من خلال المنهج التكاملي الذي تحدد وفق إدراك الباحثينالاجتماعيين، على أن العوامل الاجتماعية وما يترتب عنها من آثار، قد تشكل بعض المعوقات في سبيل تحقيق الأهداف المحددة للتنمية المطروحة، "وقد مهدت بعض المفاهيم والمعارف في العلوم الاجتماعية المختلفة إلى المناداة بأهمية استخدام مدخل متعدد الأغراض لإحداث التغير الاجتماعي المقصود، أي استخدام مفهوم التنمية المتكاملة([1]).

ويشير مفهوم التكامل هنا إلى إشراك كافة الوحدات الإنمائية مشكلة بذلك كلا متكاملا، ويظهر النموذج التكاملي من خلال كون أن التنمية هي إما تنمية كامل الأقاليم والمناطق، وإما زيادة التوافق والترابط فيما بينها.

وعليه فإن هذا النموذج في نظر الدكتور "السمالوطي" يتمثل في مجموعات البرامج التي تنطلق على المستوى القومي،والتي تشمل كافة القطاعات الفرعية للتنمية وكافة المناطق الجغرافية في الدولة، أي تلك البرامج المحققة للتوازن الإنمائي على المستويين القطاعي والجغرافي، والمحققة للتنسيق الكامل بين الجهود الحكومية المخططة والجهود الشعبية المستشارة.([2])

ويعتبر "**جو نار ميردال**" و"**سوروكين**" و"**بيروكس**" و"**باترا**" و"**ماستون**" من أبرز مؤيدي هذا النموذج.

فأما "**جو نار ميردال**" فقد عبر عن اتجاهه التكاملي في التنمية من خلال شرحه لنظريته في العلية الدائرية التراكمية التي أشار فيها إلى مجموعة من القوى والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تتضافر معا لإحداث أي تغير منشود.

---

[1]) - المغرب طنجة: المنظمة العربية للعلوم الادارية،إدارة التنمية الريفية، المجلد الاول، 1978، ص 1.
[2]) -نبيل السمالوطي: مرجع سابق، ص 197.

كما نجد أيضا "**سوروكين**" يشير إلى طبيعة الواقع الاجتماعي والمكونات البنائية للظواهر الاجتماعية وما يحدث من علاقات تفاعل بينهما، موضحا في نفس الوقت عملية الترابط بين جملة العناصر، وهذا ما يؤكد على أن الحياة الاجتماعية وحدة متكاملة.

"فالتنمية المتكاملة على هذا الأساس تقوم على حقيقة أساسية وهي أنه ليسمن السهل وضع الفواصل بين أجزاء الحياة الاجتماعية التي تقوم بين عناصرها وأجزائها تداخلات وتفاعلات عميقة".([3])

وقد حذر "**ما ستون**" من مغبة ممارسة أي عملية تنموية بدون الأخذ بعين الاعتبار بالمنهج التكاملي،فقد أشار "إلى أن الحضارة التي لا تقوم على التكامل سوف تتخللها صراعات داخلية وجملة من الاضطرابات والفوضى"([4]) وفي نفس الإطار نجد" **عبد الباسط محمد الحسن**" يؤكد على" أن إجراءات التنمية التي تصطبغ بصبغة اقتصادية بحتة دون أن يرافقها إجراءاتاجتماعيةواضحةومحددة لايترتبعليهابالضرورةتحقيقأهدافاجتماعية،بل قدتؤديإلى خلق فوضى في الحركية التنموية بصفة عامة ويتضح مماسبق أن المجتمع التكاملي يرتكز على إطار تصوري مفاده أن المجتمع الإنساني كل متكامل ويتكون من وحدات ونظم متعددة ومختلفة،غير انه يقوم بينها تساند وظيفي وعلاقات متبادلة ومستمرة.

وبالتالي فإن حدوث أي تغير لأي نظام او ظاهرة اجتماعية قد يؤدي إلى تغير في الظواهر أو النظم الأخرى،ومنه فان عملية التنمية وفق هذا المنظور لا تقوم على مجرد تنمية لعامل أو متغير أو جانب واحد فقط وإنما تستند التنميةإلى كافة العوامل والعناصر والمتغيرات المشكلة للمجتمع النامي.

وقد وضح كل من "**دافيد سميت**" و"**الكس انكلز**" أهمية هذا المنهج انطلاقا من تعدد القوى والعوامل الداخلية في إحداث عملية التنمية حيث أشار إلى أن التنميةتشيرفي حقيقة الأمر إلى بعض القوى والعوامل البنائية أو إلى وضع كلي شامل يتميز بمجموعة من

---

[3])**ALVIN. L. BERTRAND : Rural Sociology Macgraw,Hill1, Book – Company, INC. U.S.A 1958. P. 88.**

[4])- **انبيل السمالوطي: مرجع سابق، ص 197 .**

الخصائص المعقدة أو المركبة التي تشتمل على التحضر ومستويات عالية من التعليم، والتصنيع ومعدلات عالية من الحراك الاجتماعي([5]) .

نموذج الحضارة:

إن الأحداث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتسارعة التي عايشها ويعيشها العالم اليوم، والتي كان لها الأثر الكبير في تشكيل فروقات واسعة واختلافات متعددة بين الدول الاستعمارية سابقا المتقدمة صناعيا حاليا، والدول المستعمرة والمتخلفة في الوقت الحاضر، وقد ظهرت هذه الفرو قات أكثر عندما بدأتدول العالم الثالث الاهتمام بمشاكلها والعمل على ترسيخ برامج تنموية تساعدها في تحقيق استقرارها السياسي والاقتصادي، وضمان توازنها الاجتماعي والثقافي.

فبالرغم من الاجتهادات المتعددة في مجال التنمية الشاملة، وما جاءت به من أفكار وآراء وسياسات مختلفة حاولت أن تطرح المشكلة التنموية في إطار النظرية التطبيقية المتباينة أيضا، إلا أن معظم هذه النماذج كانت في نظر بعض الدارسين في حقل علم الاجتماع نابعة من واقع اقتصادي وسياسي واجتماعي وثقافي يختلف بكثير في أبعاده ومكوناته عن واقع المجتمعات النامية.

بحيث أن عملية الانتقال الحضاري التي صنفت في إطار الفكر الرأسمالي والاشتراكي باعتبارها عملية آلية وحتمية، تصبح المجتمعات النامية مطالبة بعملية الانتقال والاحتكاك هذا ما دفع ببعض المفكرين في العالم النامي إلى طرح تصور آخر، وفق الفكرة القائلة بأن ظاهرة التخلف تمثل في المقام الأول الوجه لعملية جدلية تركيبية شاملة، وأن النهضة الحضارية تقوم على أساس تحديد مشروع حضاري،يجمع بين الخصوصية الأصيلة ومنابع الفكر التاريخي، وبين الحياة المعاصرة في اتجاه مستقبلي، يأخذ بالجديد من خلال الرواسب الفكرية والحضارية للمجتمعات.

بمعنى أن هذا النموذج جاء كي يجيب على سؤال مفاده أن ظاهرة التبعية مهما تباينت من حيث التطبيق هي مرفوضة بالأساس،باعتبار أن تخلف المجتمعات النامية ما هو إلا انعكاس حقيقي لهذه التبعية.

---

[5])MANFARED STANLY: Social Development. Basic.books inc. Publishes. New yorkUSA 1972. P. 8.

ومن أنصار هذا التوجه نجد المفكر الجزائري "**مالك بن نبي**" الذي نادى في كثير من كتاباته بمشروع حضاري تنموي خاص بالمجتمعات(حديثة القدرات)، واعتبر أن مشكلة التخلف التي تعيشها المجتمعات النامية هي ليست وليدة عوامل داخلية، وإنما هي نتيجة الهيمنة والتبعية الخارجية، كما اعتبر أيضا أن تطبيق النماذج التنموية الضرورية لا يمكن لها أن تحقق مستوى أفضل من التقدم والرفاهية، ذلك أن النماذج المطروحة لا تقدم للعالم الثالث الأفكار والمعرفة التي بواسطتها يتم تحقيق التقدم الذي تعيشه الدول الرأسمالية الصناعية، حيث يقول: "أن التغيرات التي نشاهد نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد وهي في جوهرها تغيرات حضاريةتعتري القيم والأذواق في منعطفات التاريخ، بحيث تتغير معالم الحياة بتحول الإنسان نفسه في إرادته واتجاهاته عندما يدرك معنى جديدا لوجود الكون"([6]).

وحاول بن نبي تحديد جملة من العناصر التي يقوم عليها نموذجه للتنمية والتي تظهر في علاقة تفاعلية بين ثلاثة متغيرات هي:الإنسان+ التراب+الوقت، التي ستولد لنا حضارة.

غير أن مكونات النموذج تظهر في شكل وحدات أكثر منها اجتماعية كالثقافة، الفكر الديني، الإنسان، الأخلاق،ذلك أن المجتمع المنشوديجب أن تسوده الثقافة التي هي أساسية في نشر الوعي وخلق شبكة منالعلاقات،تسمح بإحداث عملية الإقلاع الحضاري، كذلك وجود الفكرة الدينية (الأيديولوجية) التي تلعب دور المركب في بناء الحضارة والانتقال من حالة التكديس إلى الإبداع إضافة إلى العامل الأخلاقي الذي يلعب دور التركيب والتماسك بين كافة هذه المكونات والذي بدونه قد لا تتحقق العملية المنشودة.

وعلى ضوء ما تقدم تفهم النظرة الفلسفية لنموذج "**مالك بن نبي**" الذي يعتبر أن مشكلة التنمية في جوهرها هي خلق شروط الإقلاع الحضاري، حيث أنها ليست مرتبطة بحل مشكلة التخلف الاقتصادي أو مشكلة النمو السكاني أو مشكلة التكنولوجيا أو مشكلة التبعية...الخ. وإنما هي مشكلة حضارة في الأساس.

---

[6])- مالك بن نبي: فكرة الافريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونج، ترجمة عبد الصبور شاهين،دمشق، دار الفكر، 1981، ص 124.

إن التطور العالمي أكد أن قضية التنمية مازالت إحدى القضايا التي تحظى باهتمام خاص على المستويين العالمي والقومي، وأنها ليست تغيرات اقتصادية ومادية محضة وإنما التنمية الحقيقية هي التغيراتالحضارية والتحولات الواقعية التي تحدث في شبكة العلاقات الاجتماعية والإطار الثقافي والاجتماعي والنسق القيمي والمعايير وأنماط السلوك في المجتمع. (7)